وجيز الكلام

في

الذيل على دول الإسلام

تأليف

المؤرخ الناقد شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي

تحقيق

الدكتور بشار عواد معروف | عصام فارس الحرستاني

الدكتور أحمد الخطيمي

مؤسسة الرسالة

وجيز الكلام

في

الذيل على دول الإسلام

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

للطباعة والنشر والتوزيع

مؤسسة الرسالة / بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف ٦٠٣٢٤٣ - ٨١٥١١٢ ص.ب ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يَهْدِهِ الله فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة قامت بها الأرض والسموات، وخُلِقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله تعالى رسله، وأنزل كُتبه. وأشهد أنَّ سيدنا وإمامنا وقدوتنا وأسوتنا وشفيعنا محمداً عبدُه ورسولُه، وأمينُه على وحيه، وخيرتُه من خلقه، وسفيرُه بينه وبين عباده، بعثه اللهُ بالهدَى ودين الحق ليظهره على الدين كُلِّه ولو كره المشركون.

أما بعد،

فما تزال عدة كتب مهمة جداً في التاريخ والسير والتراجم، خطية مفرقة النُّسَخ في خزائن العالمين، نادرة الوجود، يبحث عنها المؤرخون، ويفحص عنها الباحثون، ويُعْجز طلبها كثيراً من أهل البحث والتحقيق والدراسة والتقصي، تنتظر مَن يرفع عنها النقاب، ويحقق متونها، ويُجَلِّي نصوصها، لتعم فوائدها، وتُرْتَجى عوائدها.

ومن تلك الكتب النفيسة التي طال اشتياق أهل العلم إليها كتاب «وجيز

الكلام في الذيل على دول الإسلام» للإمام المؤرخ المحدث الحافظ الجهبذ شمس الدين السخاوي، لما احتواه من فرائد الفوائد، وما تضمنه من المعلومات النفيسة في الحوادث والوفيات كما سنبينه في هذه المقدمة الوجيزة التي سنتناول فيها سيرة السخاوي، ودراسةً لكتابه «وجيز الكلام» من حيث منهجه، وأهميته، ووصف النسخ المعتمدة في تحقيقه، والنهج الذي انتهجناه في ضبط نصه والتعليق عليه، حتى ظهر بهذه الهيئة الأدبية العلمية الرائعة، وهذه الصفة البارعة النافعة التي تسر كل محب للتراث حريص عليه.

سيرة السخاوي:

هو شمس الدين أبو الخير وأبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السَّخَاويُّ الأصل ـ نسبة إلى سَخَا بلدة بغربي الفسطاط ـ القاهريُّ الشافعيُّ.

ولد في ربيع الأول سنة ٨٣١هـ في دار والديه وجده الواقعة في أعلى الدرب المجاور لمدرسة شيخ الإسلام البلقيني من حارة بهاء الدين بالقاهرة. وكان جده شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن البارد من عائلة بغدادية سكنت مدينة سَخَا، وقَدِم الجد إلى القاهرة فسكن هذه الدار، وهي من أملاك السراج البلقيني. ويظهر أن جده كان فقير الحال، إذ تنازل السراج البلقيني عن أجرة الدار لقاء ريحان كان يضعه ابن البارد على قبر ولده بدر الدين محمد كل جمعة، وكان يتكسب لعياله بالغزل في أحد أسواق القاهرة بمبلغ يسير جداً. ويظهر أن أموره تحسنت قليلاً، فحج وسافر مرة إلى الشام للتجارة، وصحب الأولياء والصالحين، فصار منهم، وتوفي بعد سنة ٨١٨هـ[1].

أما والده زين الدين وجلال الدين عبدالرحمن فقد ولد سنة ٧٩٩هـ على الأصح في القاهرة في الدار نفسها التي ولد فيها ابنه المؤلف شمس الدين محمد بعد ذلك باثنين وثلاثين عاماً، وكان حظه من العلم أحسن من سلفه، إذ نشأ في القاهرة فحفظ القرآن وتدرب في التجويد، وحفظ بعض كتب الفقه على أئمة عصره، وحضر عند جلال الدين البلقيني، ودرس النحو، وسمع الحديث من الحافظ ابن حجر وغيره، وعانى التصوف فتنزل في صوفية

---

(١) انظر الضوء اللامع: ٧/ ١٧٥-١٧٧.

البيبرسية. وكان كوالده يتكسب في سوق الغزل[١]، والظاهر أن أحواله المادية كانت جيدة بحيث مكنته وهو في الخامسة والثلاثين من عمره تقريباً أن يشتري داراً خاصة بهم مجاورة لسكن حافظ عصره ابن حجر العسقلاني، فانتقل إليها[٢]. كما مكنته حالته المادية الجيدة، وعنايته بالعلم، واتصاله برجالاته، وعلاقاته بالفقراء والصوفية أن يكوّن له منزلة اجتماعية رفيعة، بحيث قال عنه ولده في «الضوء اللامع»: «وحج غير مرة وجاور معي قبيل موته بيسير، واجتهد في الطواف والتلاوة والعبادة مع ضعفه. وكان فاضلاً حسن الفَهْم، خيّراً، ديناً، صادق اللهجة، وافياً للعهد، مؤدياً للأمانة، متحرياً في الزكاة، نصوحاً، متواضعاً، وصولاً لرحمه وذوي قرابته، وقوراً ساكناً، محباً في المعروف عديم الشر، مديماً للجماعات سيما الصبح والعشاء، كثير التلاوة، معترفاً بالتقصير، رقيق القلب، سريع الدمعة، لوناً واحداً، ما لقيت أحداً من قدماء أصحابه كالزين قاسم الحنفي والسيد الجرواني والنقيب وابن المرخم إلا ويذكر عنه كل جميل، وأنه لِم يكن يتوقف في إقراضهم لما يحتاجون إليه في نفقتهم، وربما لا يسترجع ذلك، وكان السيّد يكثر في غيبتي وحضوري من قوله: الأصول طيبة والفروع طيبة، ونحوه قول شيخنا العَلَمِي البلقيني، وأما الجلال أخوه فإنه لما قدم حجة الإسلام قام إليه واعتنقه وقال ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف]». وذكر ولده أنه توفي في رمضان سنة ٨٧٤هـ بعد مرض ألم به، وشيعه خلق غفير، ودفن بحوش الصوفية البيبرسية عند أبيه وأخيه[٣].

أما جده لأمه فهو شمس الدين محمد بن علي بن محمد بن عبدالرحمن

---

(١) الضوء اللامع ٤/ ١٢٤-١٢٥.

(٢) الضوء اللامع ٨/ ٢.

(٣) الضوء اللامع ٤/ ١٢٥.

العدوي المالكي يعرف بابن نديبة المتوفى سنة ٨٤٥هـ[(١)] .

وعلى عادة أهل ذلك العصر أدخله والده «المكتب» ليتعلم القراءة والكتابة ويحفظ شيئاً من القرآن، فاختار له والده «مكتب» الشيخ شرف الدين عيسى بن أحمد المقسي الناسخ، لكن المؤلف لم يكن مرتاحاً له فلم تطل إقامته عنده، قال في ترجمته: «وكنتُ ممن قرأ عنده في الصغر يسيراً، ولم يكن بذاك النيّر، وكان مقصوداً من النساء بكتابة ما يروج به بينهن»[(٢)] ثم وتحوّل إلى زوج عمته بدر الدين حسين بن أحمد القطبي القاهري، وكان نازلاً عندهم، لضعف حَاله كما يظهر، قال المؤلف: «وتزوج بعمتي وساعدته في التنزل بصوفية البرقوقية وفي إقامته معها ببيت الوالد، ولذا كان يأخذني معه لمكتبه حتى ختمت عنده القرآن»[(٣)] . فلما ختم القرآن صلى به للناس التراويح في رمضان بزاوية لأبي أمه الشيخ شمس الدين العدوي المالكي[(٤)] .

ثم توجه به أبوه لفقيه مجاور لسكنه هو الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد النحريري الضرير ويُعرف بالسعودي «٧٥٦ـ٨٤٩هـ»، وكان هذا الشيخ ممن شدا طرفاً جيداً من علوم القرآن والحديث والفقه، ورحل في طلب العلم، وعمل في تأديب الأطفال بالمسجد الملاصق لسكن الحافظ ابن حجر جوار المدرسة المنكوتمرية، فانتفع به عدد كبير من شيوخ المؤلف مثل جلال الدين ابن الملقن، وبهاء الدين البالسي، وعمه، وغيرهم «وأشير إليه بالتقدم في التأديب مع الحرمة الوافرة وشدة البأس على الأطفال. . . وكان شيخاً جيداً فاضلاً مفيداً يقظاً ظريفاً فكهاً منقبضاً عن الناس ملازماً للمسجد المذكور».

---

(١) وجيز الكلام ٥٧٩-٥٨٠، والتبر المسبوك ٣٢.

(٢) الضوء ٦/ ١٥٠.

(٣) الضوء ٣/ ١٣٥، وتوفي في ذي العقدة سنة ٨٧٨هـ.

(٤) الضوء ٨/ ٢.

فلما كان في حدود سنة سبع وثلاثين حصل له مرض شديد حبسه في بيته، قال المؤلف: «وقد جودت عليه القرآن حين انقطاعه بمنزله ودربني في آداب التجويد، وقرأت عليه تصحيحاً في «العمدة» وغيرها. . . وكنتُ شديد المهابة منه لشدة بأسه وصولته»[1].

وقد أشار إليه السعودي هذا بضرورة الانتقال إلى العلامة الفقيه شهاب الدين بن أسد، فأكمل عنده حفظ «عمدة الأحكام»، ثم حفظ عنده «التنبيه» كتاب عمه، و«المنهاج الأصلي»، و«ألفية ابن مالك»، و«النخبة». وتلا عليه لأبي عمرو ثم لابن كثير، وسمع عليه غيرهما من الروايات إفراداً وجمعاً، وتدرب به في المطالعة والقراءة، وصار يشارك غالب من يتردد إليه للتفهم في الفقه والعربية والقراءات وغيرها.

وأصابه الشره في طلب العلم، فقرأ القرآن، والقراءات، والحديث، والفقه، والأصول، والعربية بمجالاتها كافة على عدد من متعيني علماء العصر، ذكرهم في الترجمة التي عملها لنفسه في «الضوء».

على أن الأساس في تكوينه الفكري، وبناء شخصيته العلمية، وتعدد معارفه، إنما كان بملازمته لحافظ العصره ابن حجر العسقلاني، لازمه أكثر من عشر سنوات إلى حين وفاته، وأعانه على ذلك قرب منزله منه، ومحبة الشيخ له، فأقبل عليه بكليته إقبالاً يزيد على الوصف بحيث تقلّل مما عداه، وداوم الملازمة له «حتى حمل عنه علماً جماً، واختص به كثيراً بحيث كان من أكثر الآخذين عنه. . . فكان لا يفوته مما يُقرأ عليه إلا النادر. . . وعلم الشيخ شدة حرصه على ذلك فكان يرسل خلفه أحياناً بعض خدمه لمنزله يأمره بالمجيء

(١) الضوء اللامع ٧/ ٣٠-٣٢.

للقراءة»[1] ، ونتيجة لذلك تمكن شمس الدين السخاوي أن يقرأ على شيخه ابن حجر جل كتبه في علوم الحديث، ومتونه، وشروحه، ورجاله، وفقهه، وقلّما فاته كتاب من كتبه. وتدرّب به في أصول البحث العلمي، ولذلك لم ينفك عن ملازمته وترك الآخرين من أجله، إلا في القليل النادر، خوفاً على فقده، كما أنه لم يرحل إلى الأماكن النائية، بل ولا حج إلا بعد وفاته، لكنه حمل عن شيوخ مصر والواردين إليها كثيراً من دواوين الحديث وأجزائه بقراءته وقراءة غيره.

وبعد وفاة شيخه، بل في شوال سنة ٨٥٤هـ سافر لدمياط فسمع بها من بعض المسندين، وكتب عن نفر من المتأدبين[2] ، ثم تجوّل في معظم البلاد المصرية والشامية[3] ، وقلّما ترك بلدة فيها شيخ إلا قصده وسمع منه، فحصل له من ذلك الشيء الكثير الواسع من المسموعات مكنته فيما بعد من تأليف معجم شيوخه الكبير الواقع في مجلدات ثلاثة سماه «بغية الراوي بمن أخذ عنه السخاوي»، وكذلك فهرس مروياته الذي زاد على ثلاثة أسفار أيضاً.

وتوجه السخاوي سنة ٨٥٦هـ[4] في البحر لقضاء فريضه الحج، وصحب والدته معه، فوصل إلى مكة أوائل شعبان، فأقام بها إلى أن حج، وفي هذه الرحلة قرأ السخاوي بمكة من الكتب الكبار والأجزاء القصار ما لم يتهيأ لغيره من الغرباء، أعانه على ذلك صديقه نجم الدين بن فهد لما قدمه له من الكتب والأجزاء، وما كان عند والده من كتب مسموعة، فضلاً عن أنه كان دليله إلى

---

(١) الضوء اللامع ٨/ ٥-٦.

(٢) وجيز الكلام ٦٤٩.

(٣) كانت أول سفرة إلى بلاد الشام في مطلع سنة ٨٥٩ فدخلها في جمادى الأول وعاد إلى بلده في شعبان منها (وجيز ٦٩٠).

(٤) وجيز الكلام ٦٦٥.

أشهر شيوخ الحجاز والقادمين عليه.

وفي سنة ٨٧٠هـ توجه هو وعياله وأكبر إخوته ووالداه للحج[١]، فحجوا وجاوروا، وقرأ هناك وأقرأ، وحدث بكتبه، وألف كتباً جديدة، وكذا حج في سنة ٨٨٥هـ وجاور سنة ست، ثم سنة سبع وأقام منها ثلاثة أشهر بالمدينة النبوية. وفي سنة ٨٩٢هـ عاود الحج، وجاور سنة ٨٩٣هـ وسنة ٨٩٤هـ.

وكانت رحلته الطويلة إلى الحرمين الشريفين سنة ٨٩٦هـ ولم يعد منها إلى بلده حيث جاور بمكة تارة والمدينة تارة أخرى حتى توفاه الله تعالى بالمدينة النبوية في شعبان سنة ٩٠٢هـ، ودفن بالبقيع بجوار الإمام مالك.

مؤلفاته:

شرع السخاوي في التصنيف والتخريج قبل العشرين من عمره، وعُني به عناية بالغة، فبارك الله له فيه، فألف عشرات الكتب في فنون شتى من القرآن وعلومه، والحديث ومصطلحه، والتاريخ وفنونه، والفقه، والأصلين، والعربية في مجالاتها المتنوعة، مما تضيق هذه المقدمة الوجيزة عن استيعابه، وكثير منها مطبوع مشهور، منتشر بين أهل العلم، وإن لم يلق العناية اللائقة به من التحقيق والتدقيق والتمحيص.

وقد ذكر المؤلف في الترجمة التي عملها لنفسه من «الضوء اللامع» مؤلفاته إلى سنة ٨٩٩هـ، وقلّما فاته شيء منها، ويجد الباحث تفصيلات أخرى عنها في كتابيه النافعين: «الإعلان بالتوبيخ»، و«وجيز الكلام»، ولنا

(١) وجيز الكلام ٧٧٣.

دراسة مفصلة فيها، لم نر فائدة من إقحامها في هذه المقدمة.

ثناء العلماء عليه:

احتل السخاوي منزلة علمية رفيعة في القرن التاسع الهجري، بل صار بعد وفاة شيخه ابن حجر محدث العصر، فقرّض العلماء ـ على اختلاف مذاهبهم ـ تصانيفه، فمن الشافعية شيخه ابن حجر وعلاء الدين المناوي وغيرهم، ومن الحنفية بدر الدين العيني، وابن الديري والشمني والأقصرائي والكافياجي وزين الدين قاسم وغيرهم، ومن المالكية بدر الدين بن التنسي قاضي مصر، وابن المخلطة قاضي الاسكندرية، ومن الحنابلة عز الدين الكناني.

وكان شيخه الحافظ ابن حجر كثير الثناء عليه حتى شافه غير واحد من أصدقائه بأنه من انبه تلامذته وأنجبهم.

ومع ذلك تحامل عليه بعض العلماء المعاصرين له من أقرانه، فتكلموا فيه، وبالغوا في نقده وتكلموا في مصنفاته بغير إنصاف حسداً منهم له على ما ناله من المرتبة الرفيعة، وفي مقدمتهم جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، وهو من كلام الأقران الذي لا يُعتد به، ولا يشك باحث منصف أن السخاوي امتن من السيوطي في التاريخ والحديث، وأكثر أصالة في تآليفه.

وقد قال محدث الحجاز تقي الدين بن فهد الهاشمي في وصفه: «زين الحفاظ وعمدة الأئمة الأيقاظ شمس الدنيا والدين، ممن اعتنى بخدمة حديث سيد المرسلين، واشتهر بذلك في العالمين على طريقة أهل الدين والتقوى فبلغ فيه الغاية القصوى».

وكان ولده الحافظ نجم الدين عمر لا يقدم عليه أحداً، ومما قال فيه:

«شيخنا الإمام الأوحد الحافظ الفهامة المتقن العلم الزاهر، والبحر الزاخر، عمدة الحفاظ وخاتمتهم، مَن بقاؤه نعمة يجب الاعتراف بقدرها ومِنَّة لا يقام بشكرها، وهو حجة لا يسع الخصم لها الجحود وآية تشهد بأنه إمام الوجود، وكلامه غير محتاج إلى شهود، وهو والله بقية من رأيت من المشايخ، وأنا وجميع طلبة الحديث بالبلاد الشامية والبلاد المصرية وسائر بلاد الإسلام عيال عليه، ووالله ما أعلم في الوجود له نظير»(١) .

وقال التقي الشُّمُنِّي الحنفي: «الإمام العلامة، الثقة الفهامة، الحجة، مفتي المسلمين، إمام المحدثين، حافظ العصر، شيخ السنة النبوية ومحررها، وحامل راية فنونها ومقررها، مَن صار الاعتماد عليه، والمرجوع في كشف المعضلات إليه، أمتع الله بفوائده، وأجراه على جميل عوائده»(٢) .

وقال تلميذه الشيخ جار الله بن فهد المكي: «ولقد والله العظيم لم أر في الحفاظ المتأخرين مثله، ويعلم ذلك كل من اطلع على مؤلفاته أو شاهده، وهو عارف بفنه منصف في تراجمه، ورحم الله جدي حيث قال في ترجمته أنه انفرد بفنه وطار اسمه في الآفاق به وكثرت مصنفاته فيه وفي غيره وكثير منها طار شرقاً وغرباً شاماً ويمناً، ولا أعلم الآن من يعرف علوم الحديث مثله ولا أكثر تصنيفاً ولا أحسن، وكذلك أخذها عنه علماء الآفاق من المشايخ والطلبة والرفاق، وله اليد الطولى في المعرفة بأسماء الرجال وأحوال الرواة والجرح والتعديل وإليه يشار في ذلك، ولقد قال بعض العلماء: «لم يأت بعد الحافظ الذهبي مثله سلك هذا المسلك، وبعده مات فن الحديث، وأسف الناس على

---

(١) الضوء اللامع ٨/ ٢٠ .

(٢) الضوء اللامع ٨/ ٢٥.

فقده، ولم يخلف بعده مثله»[1] .

وقال العلامة اليماني شيخ الإسلام الشوكاني (ت١٢٥٠): «ولو لم يكن لصاحب الترجمة من التصانيف إلا «الضوء اللامع» لكان أعظم دليل على إمامته، فإنه ترجم فيه أهل الديار الإسلامية، وسرد في ترجمة كل أحد محفوظاته ومقروءآته، وشيوخه، ومصنفاته، وأحواله، ومولده ووفاته، على نمط حسن وأسلوب لطيف ينبهر له من لديه معرفة بهذا الشأن، ويتعجب من إحاطته بذلك وسعة دائرته في الاطلاع على أحوال الناس، فإنه قد لا يعرف الرجل، لا سيما في ديارنا اليمنية، مسموعات ابنه أو أبيه أو أخيه فضلاً عن غير ذلك. ومن قرن هذا الكتاب الذي جعله صاحب الترجمة لأهل القرن التاسع بالدرر الكامنة لشيخه ابن حجر في أهل المئة الثامنة عرف فضل مُصَنَّف صاحب الترجمة على مُصَنَّف شيخه، بل وجد بينهما من التفاوت ما بين الثرى والثريا»[2] .

وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام:

ألّف مؤرخ الإسلام شمس الدين الذَّهبي «٦٧٣-٧٤٨هـ» كتابه «دول الإسلام» بعد كتابيه «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» و«العبر» وهو أخصر هذه الكتب الثلاثة[3] ، وضمنه كأصليه: الحوادث والوفيات ابتداءاً من

---

(١) البدر الطالع للشوكاني ٢/ ١٨٥-١٨٦ .

(٢) البدر الطالع ٢/ ١٨٦ .

(٣) طبع الكتاب، وهو منتشر مشهور.

السنة الأولى للهجرة حتى سنة ٧٤٤هـ[١]، وكأنه أراده أكثر اختصاصاً بأخبار «الدول» الإسلامية، لكن غلبة التراجم على فكره التاريخي جعله لا يخليه منها، بل لم يختلف في تنظيمه العام عن «العبر» أو أصلهما: «تاريخ الإسلام».

وقد عرفنا من سيرة السخاوي ودراسة مؤلفاته عناية كبيرة بمؤلفات الذهبي[٢]، فكان «وجيز الكلام» ذيلاً على «دول الإسلام»، حيث بدأ هذا الذيل بسنة ٧٤٥هـ، واستمر فيه إلى اثناء سنة ٨٩٨هـ فشمل مدة تزيد على القرن والنصف.

وذكر السخاوي في مقدمة الكتاب أنه سلك فيه سبيل الاختصار اتباعاً لمنهج الذهبي في «دول الإسلام»، مع توسع قليل فيه، وفي الوقت نفسه بيّن قدرته على كتابة مجلد كامل عن كل سنة من السنوات التي تناولها كتابه[٣].

ومع أن المؤلف السخاوي التزم بمنهجه في الاختصار عند تناوله الأقسام الأولى من «وجيز الكلام»، لكنه خالفه في القسم الأخير منه حين توسع توسعاً كبيراً في ذكر الحوادث والوفيات، فقدم لنا مادة في الغاية من الأهمية، لا نجدها في غيره من الكتب. وقد اعتذر المؤلف عن هذا الاختلاف في

---

(١) هذه السنة التي وجد السخاوي الكتاب ينتهي عندها.

(٢) انظر كتابنا: الذهبي ومنهجه ٣٠٦ (القاهرة١٩٧٦)، والإعلان بالتوبيخ ٥٨٩.

(٣) حينما ألف الذهبي كتابه العظيم «تاريخ الإسلام» أشار إلى اختصاره أيضاً مع أنه جاء في واحد وعشرين مجلداً بخطه، فقال في مقدمته: «إذ لو استوعبت التراجم والوقائع لبلغ الكتاب مئة مجلدة بل أكثر، لأن فيه مئة نفس يمكنني أن أذكر أحوالهم في خمسين مجلداً» ومن الجدير بالذكر أن السخاوي نقل من خط الذهبي أنه كان يريد أن يؤلف كتابه «التاريخ الكبير المحيط» وأنه لو عمله لجاء في ست مئة مجلد، ولكنه لم ينهض له. وقد نقل السخاوي خطة هذا التاريخ في كتابه الإعلان ٥١٨-٥٢٢.

المنهج لتعذر تبييض كتابه «التبر المسبوك»، فأراد أن يكون هذا القسم من كتابه بديلاً عنه، قال في مستهل حوادث سنة ٨٩٥هـ: «وقد بَسَطْتها بالنسبة لما قبلها مع بسط تلك أيضاً بالنظر لموضوع الكتاب لتعذر تبييض «التبر المسبوك» الآن»[١].

وأشار المؤلف في مقدمة كتابه أنه سيتناول فيه ما يتعلق بالدولة، لأن الأصل الذي جعله ذيلاً عليه سُمِّي كذلك «دول الإسلام»، وإن لم يلتزم به الذهبي دائماً، مع حرصه على ذكر تراجم لجماعة من الأعلام.

والحق أن دراسة منهج السخاوي في كتابه هذا تبين أنه لم يلتزم بذلك التزاماً جيداً، بل جاءت أخبار «الدولة» ضمن أشياء أخرى كانت عادة مؤلفي الكتب التاريخية أن يذكروها في كتبهم عند تناول الحوادث مثل الظواهر الطبيعية، كالأمطار[٢]، والسيول[٣]، والثلوج[٤]، والأعاصير وما ينتج عنها من تدمير[٥]، والفيضانات[٦]، وغيرها[٧]. وكذلك انتشار الأوبئة ولا سيما الطاعون[٨]، ونشوب الحرائق[٩]، وارتفاع الأسعار أو انحطاطها[١٠]، وكل

---

(١) وجيز الكلام ١١١٢.

(٢) انظر مثلاً ص٧،٨٨.

(٣) مثلاً ٦، ٣٤٥.

(٤) مثلاً ٦، ٨١، ٨٨.

(٥) مثلاً ٨٦.

(٦) مثلاً١١٣.

(٧) مثلاً ٨١، ١٥٥،١٨١.

(٨) انظر مثلاً ٣٤، ٣٥، ١٣٠، ١٧٦، ٢٠٥، ٢٤٤، ٢٥٤، وغالباً ما يقدر عدد الموتى فيه في كل مدينة تقريباً.

(٩) مثلاً ٦٠، ٨٦، ١٦٣، ٢٣٨.

(١٠) مثلاً ٣٠، ٣٥، ١٣١، ١٣٩، ١٤٤، ١٤٥، ١٧٦، ٢٠٥، ٢١٣، ٢٥٥.

ما يتصل بمصالح المسلمين الدينية والدنيوية، فضلاً عن المساحة الواسعة المخصصة للتراجم.

وقد اعتاد المؤلف أن يستهل السنة بذكر اسم الخليفة والسلطان بمصر والشام ونائبه وبعض ذوي المناصب العالية، لا سيما عند تغييرهم، مع عدم التزامه بذلك دائماً.

ثم يتناول بعد ذلك أبرز حوادث السنة من تنازع بين الأمراء وما يعقب ذلك من نتائج، والحروب التي تتعرض لها الدولة، وعلاقاتها بالدول الإسلامية المجاورة، لا سيما في آسيا الصغرى والعراق، وبالفرنج ولا سيما القبارصة[1] ، مع عناية خاصة بذكر السفارات بينهم، ووصول السفراء إلى دار السلطنة بالقاهرة[2] .

وعني المؤلف بذكر كثير من المراسيم السلطانية في منع شيء أو إباحته[3] ، وما يُفتتح في السنة من المدارس والخوانق، وما يُنْجَز من العمائر، والدور، والقصور، والمساجد، والجسور، ونحوها.

ولما كان الغناء والمغنيات قد حظوا بمنزلة كبيرة في المجتمع المصري على عهد المماليك، وعند سلاطينهم خاصة، فقد عُني المؤلف بذكر أخبارهم وما كان لهم من نفوذ، وما أدى كل ذلك إلى انتشار للهو والفساد وإهمال لشؤون الدولة.

ويُعنى المؤلف في الحوادث بتتبع شؤون الحجاج، وخروج الركب

---

(١) مثلاً ٩٩، ١٤٧، ١٨٠.
(٢) مثلاً ١٢٣، ٢٠٢، ٣٢٤.
(٣) مثلاً ٣٨، ١٠٨.

المصري والشامي، وما يلاقونه في الطريق، وأحوالهم في مكة المكرمة والمدينة المنورة إلى حين عودتهم إلى ديارهم.

واعتاد المؤلف أن يترجم للسلطان ترجمة واسعة في سنة وفاته أو عزله، يبين فيها مدة سلطنته وأبرز أعماله وانجازاته، ويقدم تقويماً له.

ولا يُخْلِي الكتاب من تتبع لأخبار البلدان المجاورة، لا سيما الحرمين الشريفين، والعراق، وآسيا الصغرى، والمغرب، والأندلس، واليمن.

وحين الانتهاء من ذكر الحوادث يبدأ المصنف بذكر أبرز تراجم المتوفين في ذلك العام بصورة مختصرة، غالباً ما تشمل اسم المترجم ونسبه ولقبه وكنيته ونسبته، ومولده أو ما يدل على عمره، ونشأته ودراسته وأخذه عن الشيوخ، وانتاجه، ومنزلته العلمية ورأيه فيه.

ومن عانى كتابة التراجم يعرف أن السخاوي فَنّان متميز في صياغة الترجمة، له أسلوبه الخاص في طريقة السبك والعرض، بحيث يأتي بالفوائد الكثيرة بعبارة وجيزة، وهو قلما يقلّد غيره أو يعتمده في الصياغة، لذلك يجد القارىء عذوبة في الترجمة ومتانة في الأسلوب.

وقد عني السخاوي عناية جيّدة بذكر أبرز مؤلفات المُتَرْجَم المشتهرة بين أهل العلم، فحفظ لنا أسماء عدد كبير من الكتب، كما عُني بذكر مَن اشتهر منهم بخطه الحَسَن المتقن المليح أو كتب الخط المنسوب(١)، وغالباً ما يورد بعض أشعار للمترجمين(٢). ويضبط ما قد يَلْتَبس من الأسماء والأنساب

---

(١) مثلاً ٣١، ١٢٧، ١٦٨، ٢٤٥.

(٢) مثلاً ٣١، ٣٢، ٣٩، ٥٤، ٦٥، ٨٢، ٨٤، ٩٤، ١٠٩، ١١١، ١٣٠، ١٣٥، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٤، ١٩٣... الخ.

بالحروف[1].

أما موارد الكتاب، فقد ذكر المؤلف في مقدمة كتابه أن جل ما ذكره في هذا الكتاب هو مما رآه، وأنه تحرى في المختلف فيه اعتماد ذوي الإتقان[2].

وهذا الكلام صحيح بالنسبة للمدة التي عاشها المؤلف وشهد أحداثها وهي القيمة الحقيقية لهذا الكتاب. أما القسم الأول منه فقد اعتمد فيه أبرز المؤلفات المشهورة التي تناولت هذه المدة بحوادثها وتراجمها، وفي مقدمتها مؤلفات شيخه الحافظ ابن حجر العسقلاني «٧٧٣-٨٥٢هـ» ولا سيما كتبه: «الدرر الكامنة» و«إنباء الغمر» و«اللسان». وكتب ابن كثير «ت٧٧٤»، والعيني «ت٨٥٥هـ»، والمقريزي «ت ٨٤٥هـ» في الحوادث. أما التراجم فقد تنوعت فيها مصادره وكثرت، لكن من أبرزها «الوفيات» لابن رافع السَّلاَّمي «ت٧٧٤هـ» و«الذيل على تاريخ ابن كثير» لابن حجي الحُسباني «ت ٨١٦هـ» و«الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب «ت٧٩٥هـ»، و«طبقات الشافعية» للإسنوي «ت ٧٧٢هـ»، و«طبقات الشافعية» للتاج السبكي «ت٧٧١هـ» وغيرها.

أهمية الكتاب:

تناول الكتاب تاريخ الإسلام عامة، والمماليك خاصة، في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، وكل القرن التاسع الهجري تقريباً، فتضمن مادة غنية في التاريخ السياسي والإداري والاجتماعي والثقافي. عاصر المؤلف كثيراً من

---

(١) مثلاً ١٩، ٣٣، ٤٢، ٦٥، ١٢ ... الخ.

(٢) وجيز الكلام ٤.

هذه المدة، فكان شاهد عيان وممن شارك في جوانب من هذه الحياة لا سيما الثقافية منها.

لقد كشف هذا التاريخ حالة دولة المماليك في أواخر عهدها، وقبيل استيلاء العثمانيين عليها، وما آلت إليه من انحدار وتفسخ في مجالات عديدة، فلم يعد يشغل سلاطينها سوى جمع المال من أي مصدر كان، فكل شيء بالضمان، الوظائف والمدارس والقضاء والولايات، حتى المغاني، بحيث قال المؤلف: «ولقد كانت المفاسد بالضمان المذكور عظيمة، ما كان إلا ضمان الفروج!»[١].

ومع أن الكتاب عُني بأحوال البلاد المصرية والشامية، إلا أن كثرة تردد المؤلف على الحرمين الشريفين ومجاورته سنوات طوالاً حتى توفي وهو مجاور سنة ٩٠٢هـ جعلته خبيراً بتاريخ الحرمين، فقدم لنا معلومات تاريخية عن الحرمين في نهاية القرن التاسع الهجري من الصعوبة جداً أن نجدها في مصدر آخر، فقد توسع في ذلك توسعاً لا مزيد عليه، فذكر صغائر الأمور من العلاقات العائلية في هذه البلاد والزيجات والعادات الاجتماعية والاحتفالات، مما يُعد ثروة في الدراسات التاريخية، لا شك أنها ستغني الباحثين والدارسين بمادة أولية لم تكن معروفة قبل نشر هذا الكتاب.

كما عني الكتاب بذكر شيء من أخبار العراق وحكامه ووزرائه وبعض علمائه في الوقت الذي لم يعد المؤرخون المصريون والشاميون يعتنون إلا بذكر تاريخ بلدانهم. ويصح ذلك أيضاً عن المعلومات الجيدة التي قدمها عن شمال إفريقية والأندلس، والدولة العثمانية.

---

(١) وجيز الكلام ٢٢١.

على أن أهمية «وجيز الكلام» الكبرى إنما تتكشف في تصويره للحياة الفكرية التي سادت المجتمع الإسلامي في القرن التاسع الهجري، فقد حفظ لنا الكتاب عدداً كبيراً من اسماء المؤلفات التي أبدعتها عقول المترجمين في هذا الكتاب.

كما عني المؤلف بذكر المرويات الأساسية وبعض الأجزاء والكتب التي عني المترجمون بروايتها، أو سماعها، فقدم لنا مادة أساسية في معرفة نوعية الكتب والعلوم التي اهتم بها الطلبة في ذلك العصر، مما يعين الباحثين على التعرف إلى أوجه النشاط الثقافي السائدة يومذاك.

وبيّن الكتابُ انتشار الجَهْل بين العوام والاعتقاد بالخرافات والمغيّبات التي لم ينص عليها الشرع، وكثرة المشايخ الصوفية وانتشارهم في أرجاء البلاد انتشاراً واسعاً، وشدة تأثيرهم على العَوام، بله بعض الأمراء والحكام، وظهور كثير من أهل الدجل والشعبذة، ممن نالوا منزلة عظيمة عند الناس، فما عادت البلاد تجد من ينكر هذه الترهات كما كان في مطلع القرن الثامن الهجري على عهد شيخ الإسلام ابن تيمية وأصدقائه وتلامذته.

ثم كشف الكتاب عن الحالة البائسة التي وصلت إليها المؤسسات التعليمية في القرن التاسع الهجري بحيث صارت مصدراً للرزق، يعين للتدريس فيها الأطفال ممن هو ابن عشر سنين[١] ، بل ذكر المؤلف أنه في محرم سنة ٧٧٢هـ «دَرّس تقي الدين على ابن التاج السبكي بالأمينية وهو ابن سبع سنين عوضاً عن والده!»[٢] وكانت الغاية من ذلك هو قبض الرواتب المخصصة للمدرسين، فكانت هذه الأرزاق تسمى «جهات»، بل قال المؤلف في ترجمة

---

(١) وجيز الكلام ٨١.

(٢) نفسه: ١٨٠.

أحدهم ممن تكلم فيه شيخه ابن حجر: «ورحم الله شيخنا، فكيف لو أدرك وقتنا والكَذَبَةُ من الصغار شيوخ الدروس!!»[1] .

وصف النسخ الخطية:

اعتمدنا في إخراج هذا الكتاب نسختين خطيتين هما:

١- النسخة المصورة عن النسخة المحفوظة في مكتبة البودليان بأكسفورد من بلاد الانكليز برقم ٥٠٨ و٦١١ وهي التي رقمنا لها بالحرف «ب».

تقع هذه النسخة في مجلدين، يقع الأول في ٢٢١ورقة ذات وجهين مسطرتها ١٨-١٩في كل سطر ١٠-١١كلمة، ويتكون المجلد الثاني من ٢١٥ورقة، منها ١٠٧ورقات كتبت بالخط الذي كتب به المجلد الأول، و١٠٨ ورقات كتبت بخط مغاير.

وقد كُتِبَ القسم الأول من هذه النسخة، وهو القسم المتضمن لحوادث ووفيات ٧٤٥-٨٩٢هـ (من أول الكتاب إلى الورقة ١٠٧من المجلد الثاني)على عهد المؤلف، ودليلنا على ذلك:

أ- قول الناسخ في أول النسخة: «قال الشيخ الإمام العالم العلامة خادم السنة النبوية ومسند الديار المصرية شمس الدين أبو الخير محمد السخاوي الشافعي أبقاه الله».

ب- وجود خط السخاوي المؤلف ـ الذي أعرفه ـ بهامش هذه النسخة تصحيحاً وتعقيباً وزيادة، كما بيناه في مواضعه من المطبوع عند تعليقنا

---

(١) وجيز الكلام ٨٨.

عليه[1].

والظاهر أن المؤلف كتب من الكتاب إلى أثناء سنة ٨٩٢هـ أولاً، فجاء أحد تلامذته فنسخه إلى هذه السنة، ثم يَسّر الله للمؤلف إتمام الكتاب إلى سنة ٨٩٨هـ فنقله بعضهم إلى هذه النسخة ليكملها، وهي تتمة سنة ٨٩٢ وإلى أثناء سنة ٨٩٨ وقد استغرقت ١٠٨ورقات من وجهين تتراوح مسطرة الوجه الواحد من عشرين إلى ستة وعشرين سطراً، وخطها واضح جَيّد تظهر في حواشيه أثر المقابلة على الأصل المنتسخ منه، وكتب في آخره: «انتهى ما وجد من وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام للعلامة الحافظ خاتمة الحفاظ شمس الدين أبو (كذا) عبدالله محمد بن عبدالرحمن بن محمد السخاوي الشافعي تغمده الله برحمته ورضوانه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم».

وقد كتب في الورقة الاولى وبخط الناسخ الأول عنوان الكتاب «كتاب وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام للسخاوي». ثم كتب أحد الجهلاء طرة بخط واضح نصها: «تاريخ ابن خلِّكان المسمى بكتاب الذيل على دول الإسلام لشيخنا شمس الدين السخاوي تغمده الله برحمته»، في حين كتب بخط مغاير في الورقة التي تليها: «النصف الأول من تاريخ السخاوي رحمة الله تعالى عليه».

وقد نقل أحد النساخ سنة ٩٧٠هـ حوادث السنوات ٨٩٨-٩٠١هـ من الذيل الذي عمله مجير الدين العليمي المتوفى سنة ٩٢٨هـ على تاريخه الذي ابتدأه بالخليفه وختمه بسلطنة الملك الناصر محمد بن قايتباي، واستغرقت ١١ورقة، مما جعل مفهرس النسخة المصورة المخطوطة في مركز الوثائق

---

(١) انظر تعليقنا على الصفحات: ٨٦٤، ٨٧٤، ٨٨٦، ٩٣٦، ٩٥٤.

والمخطوطات بالجامعة الأردنية يظنون غلطاً أن كتاب «وجيز الكلام» استمر إلى سنة ٩٠١هـ.

٢- النسخة المصورة عن النسخة المحفوظة في مكتبة كوپرولي برقم ١١٨٩، وهي التي رقمنا لها بالحرف «ك».

تتكون هذه النسخة من ٢٢٩ ورقة ذات وجهين، مسطرتها ٢٧ سطراً، في كل سطر ١٤-١٧ كلمة، ولا نعرف ناسخها ولا تاريخ نسخها، لكن يظهر عليها أثر المقابلة على الأصل الذي انتسخت منه، وهي تتضمن الكتاب إلى أثناء سنة ٨٩٥هـ[1]. وأشار الناسخ في آخر المخطوط إلى تكملة المخطوطة في جزء آخر، فقال: «يتلوه الجزء الذي فيه: وفي ربيع الثاني اطلع على الشمس البحيري. والحمد لله رب العالمين»، ولم نجد هذا الجزء، وهو المتضمن بقية هذه السنة إلى نهاية الكتاب المساوية للصفحات ١١٢٥-١٢٩٦.

نهج العمل في التحقيق:

تعود صلتي بكتاب «وجيز الكلام» إلى أوائل الستينات حيث وقفت على نسخة كوپرولي باستانبول ونقلت منها فوائد، ثم صَوّرت لخزانة كتبي تلك النسخة، وكنتُ أعود إليها بين مدة وأخرى أفيد من تراجمها.

وحين قدمت عمان البلقاء في صيف عام ١٩٩٢م متفرغاً للبحث والتحقيق عَرّفني أخي وصديقي الأعز عصام فارس الحرستاني بالسيد الدكتور أحمد الخُطيمي فوجدته معنياً بهذا الكتاب وقد صَوّر لنفسه نسخة البودليان المصورة

(١) ص ١١٢٥ من المطبوع.

بالجامعة الأردنية إضافة إلى نسخة كوپرلي بل نسخها إعداداً منه لتحقيق الكتاب، فتم الاتفاق بيننا على أن يعطينا النسختين المصورتين والمنسوخ، فنقوم أنا والأخ الحرستاني بتحقيق النص والتعليق عليه وعمل فهارسه، ويكون العمل شركة بيننا.

فقابلنا النسختين على المنسوخ وأثبتنا القراءة الصحيحة التي ارتأيناها. وكان العمل عَسراً لكثرة الأسماء والمصطلحات الأعجمية التي تحتاج إلى تقييد وضبط، ومراجعة للموارد المعنية بذلك.

وقابلنا مادة الكتاب على أبرز المصادر المعتبرة لذلك العصر، لا سيما المعاصرة والتي نقل منها المؤلف، مثل كتاب «الوفيات» لابن رافع، و«البداية» لابن كثير، و«الدرر الكامنة» و«إنباء الغمر» لشيخه حافظ عصره ابن حجر، و«النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي الأتابكي، وعنينا بكتابه «الضوء اللامع»، فقابلنا هذه المادة بمادته، إلى غير ذلك مما هو ظاهر في تعليقاتنا على النص.

ولم نشأ إثقال النص بكثرة التخريجات وذكر المظان من المصادر والمراجع مع مراجعتنا لكثير منها، لئلا نثقل الكتاب فيتضخم حجمه، لذلك اكتفينا بذكر مصدر أو مصدرين لكل ترجمة حسب، وعَرّفنا بما هو ضروري لتجلية النص ودفع كل لبس عنه، موظفين خبرتنا في معرفة هذه الحقبة من التاريخ وأسماء علمائها ومصطلحاتها في إخراج نص صحيح متقن مُقَيّد بضبط ما يُلبس.

على أننا ذيلنا الكتاب بفهارس جامعة متنوعة تكشف عن خبايا الكتاب وتيسر على الباحثين والمحققين الوقوف على طلبتهم بسهولة ويُسْر، فكانت هذه الفهارس المتنوعة الدقيقة المتقنة التي استغرقت مجلداً ضخماً نأمل أن ينال استحسان القراء من طلبة العلم.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا وينفع الناس بهذا الكتاب، ويتقبل منا عملنا فيه، ويجنبنا مواطن الزلل، ويوفقنا لما يحب ويرضى بيده النعماء وإليه الرغباء، ولا حول ولا قوة إلا به، عليه توكلنا وإليه نُنيب.

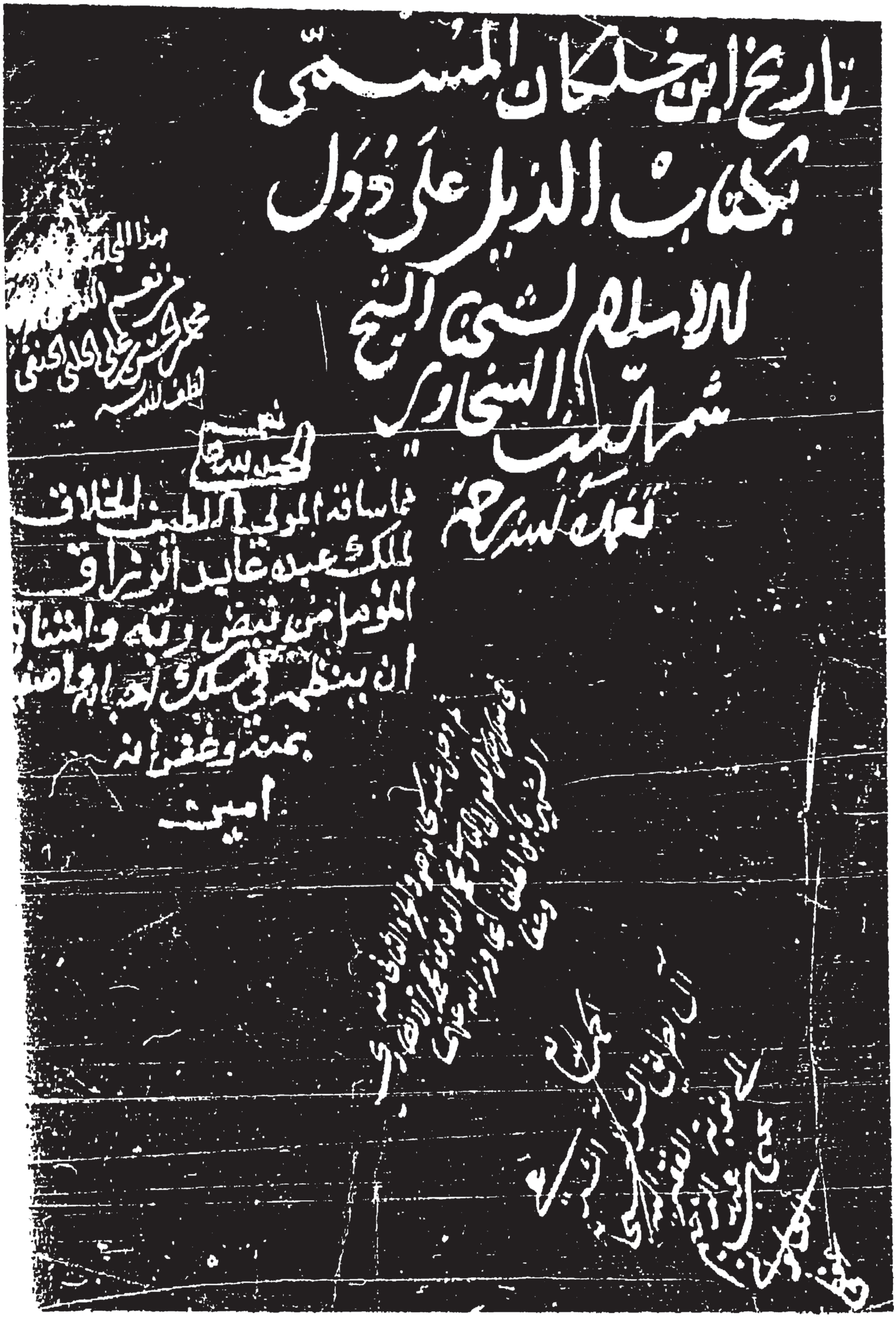
كتبه

أبو محمد بشار بن عواد بن معروف البغدادي

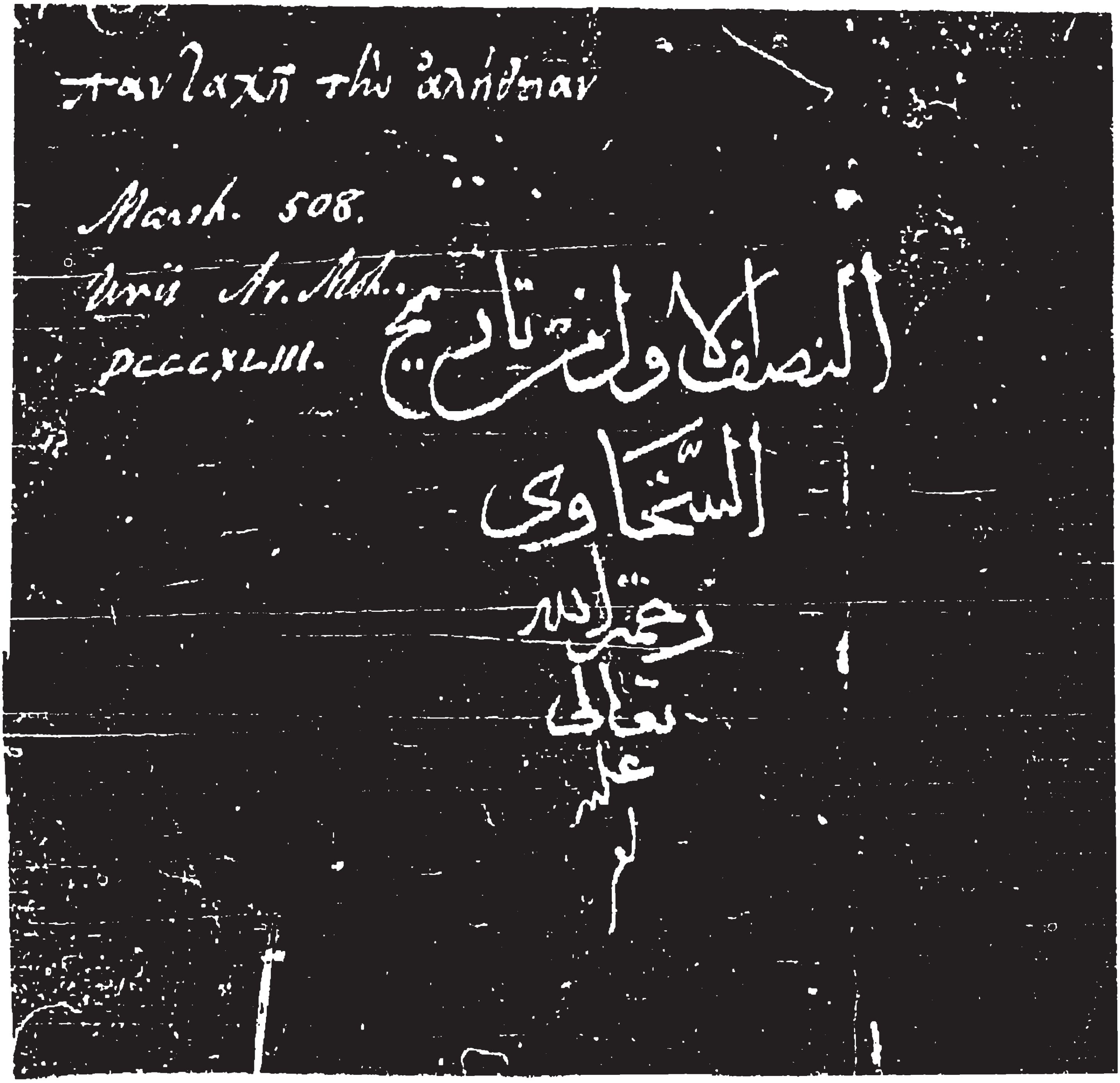
عمان البلقاء في

رمضان ١٤١٥

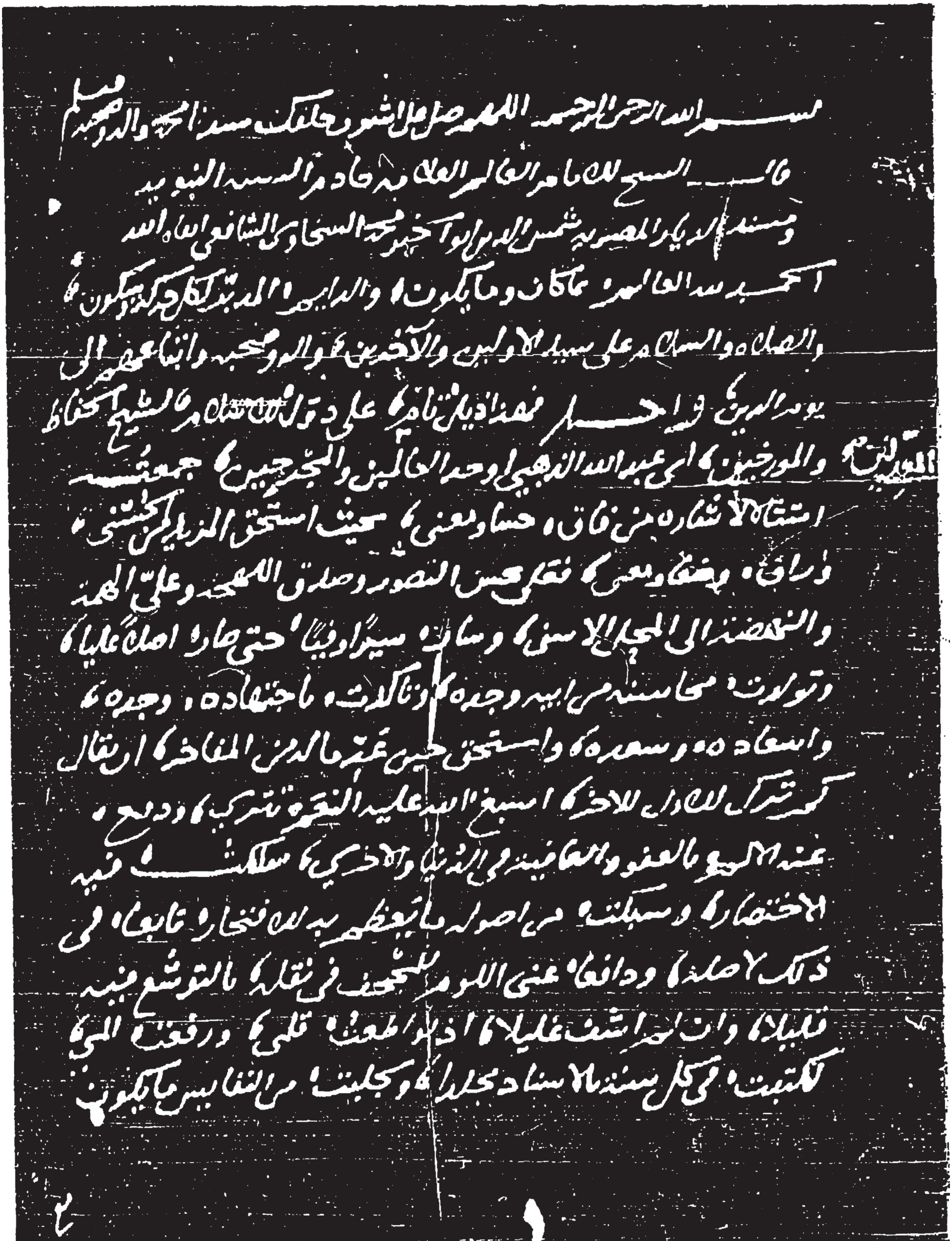
شباط ١٩٩٥



العنوان الذي كتبه أحد الجهلاء لنسخة البودليان
بأكسفورد، وتظهر على الورقة بعض التملكات

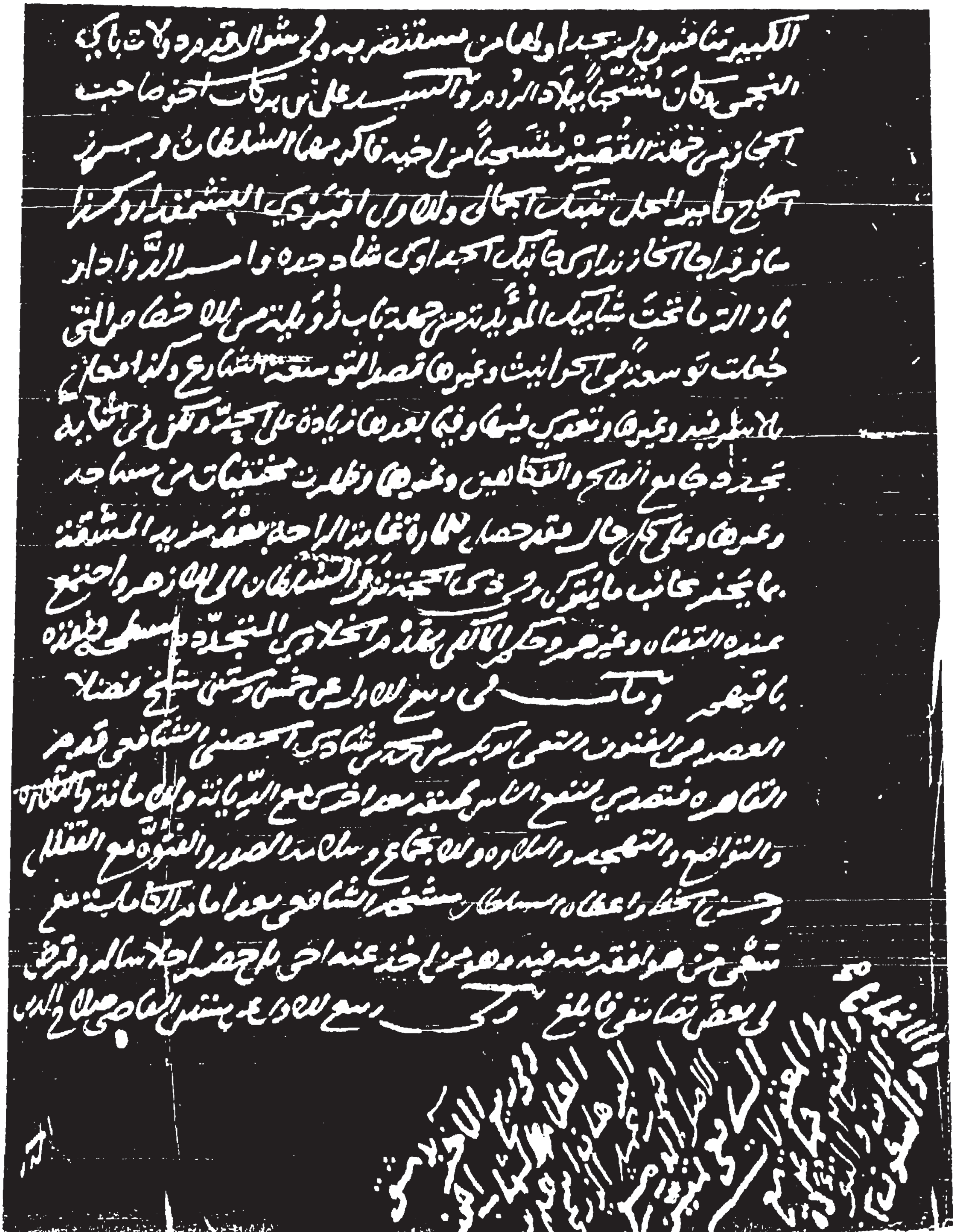


عنوان المجلد الأول من نسخة
البودليان بأُكسفورد رقم ٥٠٨

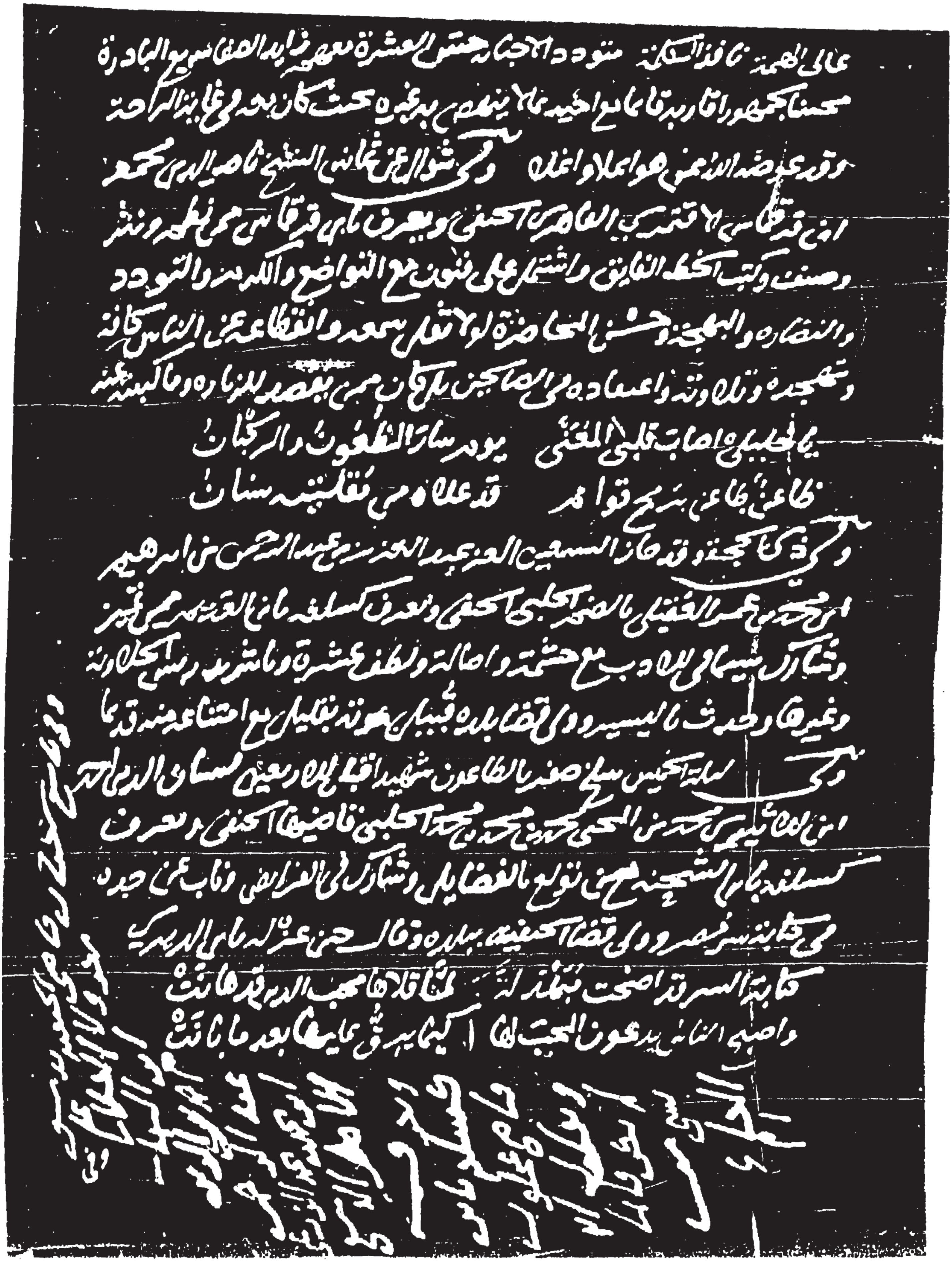


بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم صل على أشرف خلقك سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
قال الشيخ الإمام العالم العلامة حافظ السنة النبوية
ومسند الديار المصرية شمس الدين أبو الخير محمد السخاوي الشافعي أبقاه الله
الحمد لله العالم بما كان وما يكون، والدائم المدبر لكل حركة وسكون،
والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وآله وصحبه وأتباعهم إلى
يوم الدين. وبعد: فهذا ذيل تام على دول الإسلام للشيخ الحافظ
والمؤرخين أبي عبد الله الذهبي أوحد العالمين والمخرجين، جمعته
امتثالاً لإشارة من فاق حساً ومعنى، بحيث استحق المزيد [illegible]
ورائق، وصفا معنى، فنفى بحسن التصور وصدق اللهجة وعلو الهمة
والنهضة إلى المجد الأسنى، وسار سيراً وفياً حتى صار أصلاً علياً،
وتوارث محاسنه من أبيه وجده، وتلألأت باجتهاده وجده،
وإسعاده وسعده، واستحق حين عمّ ما لديه من المفاخر أن يقال
كم ترك الأول للآخر، أسبغ الله عليه النعمة وترحب، ودفع
عنه السوء بالعفو والعافية في الدنيا والآخرة، سلكت فيه
الاختصار، وسبكته من أصوله بما يعظم به الافتخار، تابعاً في
ذلك أصله، ودافعاً عني اللوم للتحيف في نقله، بالتوسع فيه
قليلاً وإن لم أشف غليلاً، إذ لو طمعت قلبي ورفعت المنى
لكتبت في كل سنة بالإسناد مجلداً، وجلبت من النفائس ما يكون

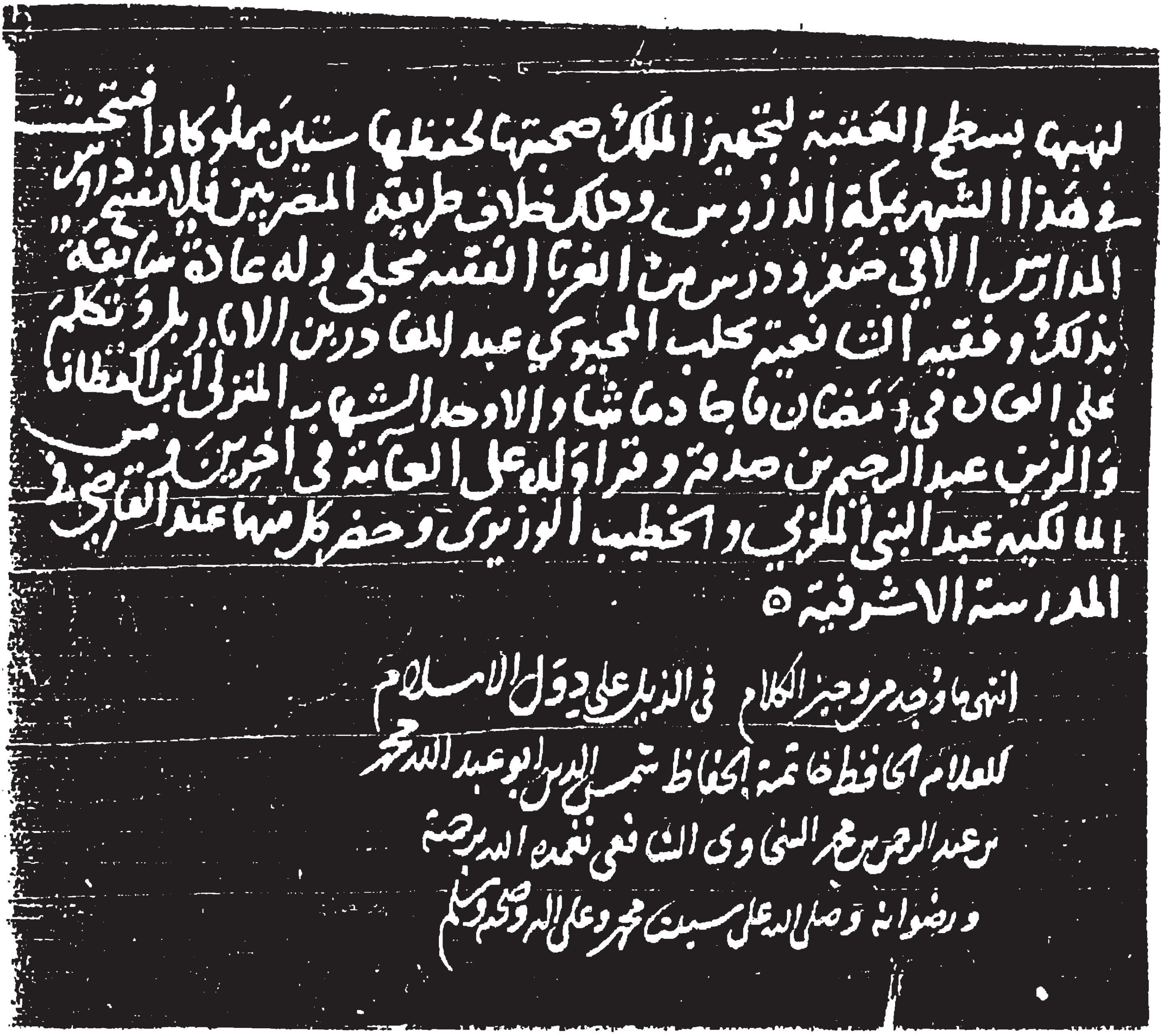
راموز وجه الورقة الأولى من نسخة
البودليان بأكسفورد وهي المرقوم لها بالحرف «ب»



راموز ظهر الورقة ٦٣ من المجلد الثاني من نسخة البودليان «ب» ويظهر في أسفلها خط المؤلف السخاوي بإضافة ترجمة جديدة

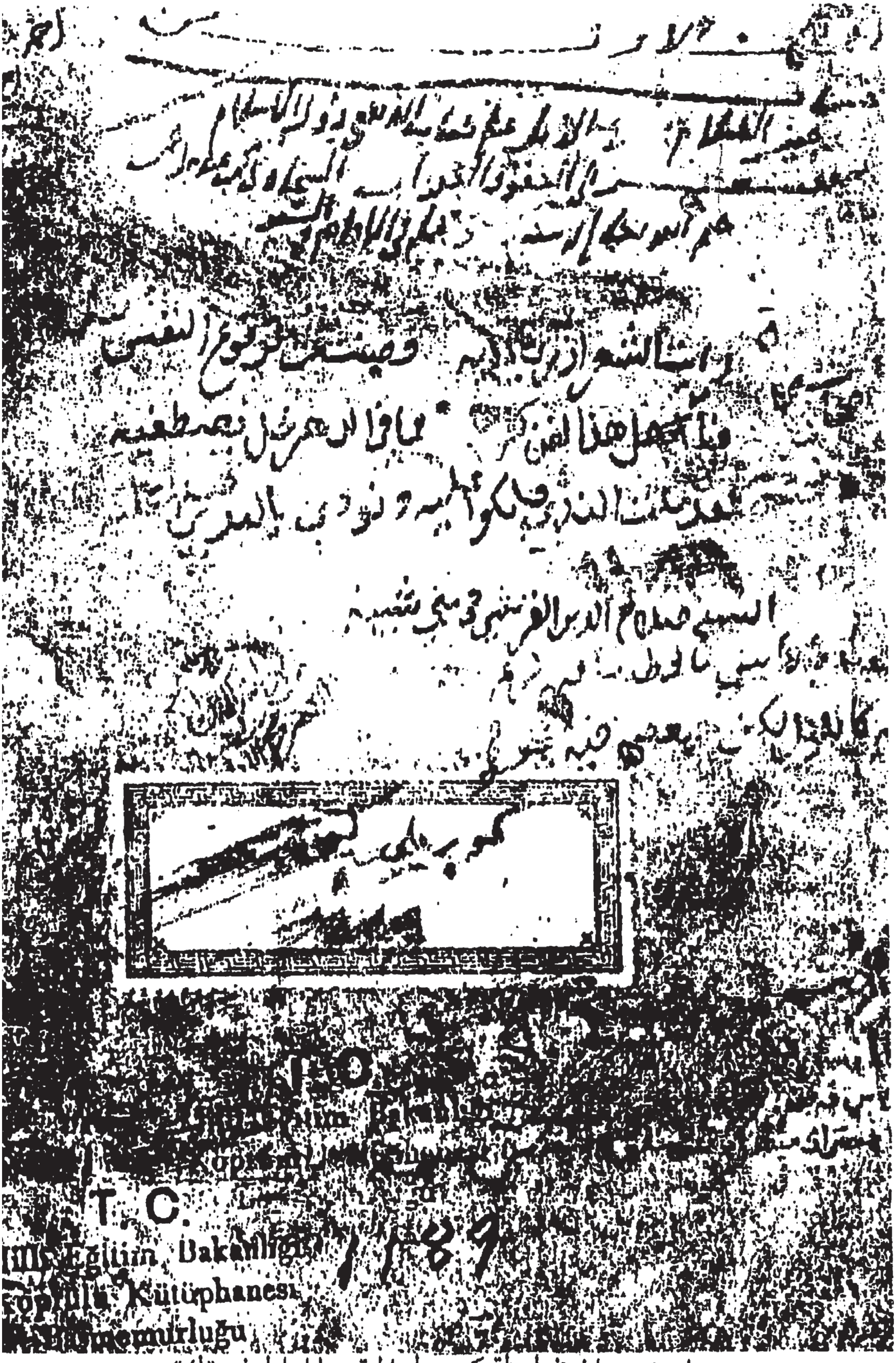


راموز ظهر الورقة ٦٧ من المجلد الثاني من نسخة البودليان «ب» ويظهر في حاشيتها خط المؤلف شمس الدين السخاوي


لتهيئ بسطح القعقبة لتجهيز الملك صحبتها لحفظها سنين مملوكا وافتتحت
في هذا الشهر بمكة الدروس وذلك خلاف طريقة المصريين فلا تفتتح دروس
المدارس إلا في صفر ودرس من الغرباء الفقيه محلي وله عادة سابقة
بذلك والفقيه ابن فتيه حلب المحيوي عبد المعاد بن الإمام وتكلم
على الناس في رمضان فأجاد ما شاء والأوحد الشهاب المنزلي ابن القطان
والزين عبد الرحيم بن صدقة وقرأ ولده على العامة في آخرين ومن
المالكية عبد النبي المغربي والخطيب الوزيري وحضر كل منهما عند القاضي في
المدرسة الأشرفية ٥

انتهى ما وجد من وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام
للعلامة الحافظ خاتمة الحفاظ شمس الدين أبو عبد الله محمد
بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي الشافعي تغمده الله برحمته
ورضوانه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

راموز الورقة الأخيرة من نسخة
البودليان «ب» وفيه النص على انتهاء
الكتاب في أثناء سنة ٨٩٨هـ



راموز عنوان مخطوطة كوبرولي المرقوم لها بالحرف «ك»



راموز الورقة الأخيرة من نسخة كوبرولي